

اولو الامر في القرآن

<"xml encoding="UTF-8?">



اكتسبت مسألة أولي الأمر أو صاحب الأمر أهميتها الفارقة لدي الصحابة ربّما انطلاقاً من هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٤ 1

وتدور محاور الطاعة في هذه الآية حول ثلاثة:

الله عزوجل: و طاعته حكم عقلي و وجداني. فالعقل يؤيّد وجوب الإستجابة لله عزوجل دون قيد أو شرط؛ لإلّته خالق الوجود و مالك الموجودات، وكلّ شيء في قبضته، و أوامره نافذة.

ولأنّ أحكامه -سبحانه - من أوامر ونواهٍ لا تصل البشر مباشرة بل بواسطة يبلغون الشريعة كما أنزلها الله عزوجل، فالنبي لا يبدع بل يبلغ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٢ 2.

الرسول: و طاعته واجبة لأنّ الله قرن طاعته بطاعة النبي الذي بعثه. و من هنا يستشف أنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) له قراراته و أحكامه الخاصة به. فإن له إضافة الي مهمته في تبليغ الرسالة مهمة اخري تتعلّق في تطبيق شرع الله في أرضه و بين عبادته، و هو مسؤول عن إقرار النظام و إرساء قواعد العدل و قيادة المجتمع في طريق الخير و الحقّ و إعلاء كلمة الإسلام، و هي مهمّة الهيّة لا يمكن القيام بها إلّا من خلال تشكيل جهاز حكومي متكامل يستوعب كلّ شؤون الحياة الإنسانية.

ومن هنا فإن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) يتحرّك في هذا الإطار بعنوان حاكم و قائد و رئيس؛ حيث يتمتع بناءً على ذلك بأحكام خاصة تدعي أحكام الرئاسة، فهو يتّخذ القرارات المناسبة التي تنسجم و مصالح المسلمين و منافع المجتمع الإسلامي؛ ولهذا كانت طاعته و اجبة. قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٣ 3

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٤ 4

﴿... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... 5 5

-﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... ﴾ 6

-﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ 7

-﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ 8

وكان بعضهم يعترض

يمثل سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) قمة الهرم في التشكيل الحكومي الإسلامي حيث ينقاد له المسلمون طائعين. على أنّ التأمل في الحوادث والآيات الكريمة يكشف لنا أن بعض المسلمين يشكّون أو يعترضون حول امتياز النبي في وجوب طاعته أوّلاً وأخيراً. لتأمل في هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴾ 9.

معركة أحد

لكي نستكشف معاني الآية الكريمة من الضروري ان نعرف أسباب نزولها وطبيعتها الحادثة التي رافقتها أو سبقتها.

أحيط النبي علماً بتحركات قريش و زحفها باتجاه المدينة، فاجتمع سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسلمين و أطلعهم على آخر الأنباء وكان رأي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التحصن بالمدينة.

وتظاهر المنافق عبد الله بن أبي سلول بتأييد النبي، و لكن الشباب المتحمسين؛ خاصة أولئك الذين لم يشاركوا في معركة بدر، وجدوا هذه المناسبة فرصة للاندفاع و رفض فكرة التحصن في المدينة، و أيّدهم في ذلك سعد بن معاذ، و سيطر شعار "النصر أو الشهادة إحدى الحسنيين" على أجواء الجدل، و كان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحسم الموقف فدخل الى منزله و خرج و هو يسوي لأمة القتال.

وهنا شعر المتحمسون إنّهم قد فرضوا رأيهم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فشعروا بالندم قائلين: استكرهنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم اعتذروا و قالوا: اصنع ما شئت يا نبيّ الله. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل. وأصدر أمره بالتحرك لمواجهة العدوان.

عباً النبي قوّاته للإشتباك، و أمر خمسين من أمهر الرماة بالتمركز فوق سفوح جبل "عينين" لحماية ظهر الجيش الإسلامي من حركة التفاف يقوم بها العدو. وقال لابن جبير قائد الرماة:

- انضحوا الخليل بالنبل لا يأتونا من خلفنا.

- و التفت الي جموع الرماة مؤكدا:

- احموا لنا ظهورنا. لا يأتونا من خلفنا. وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدّم على النبل، اتّا لا نزال غالبين ما لبثتم مكانكم.. اللهم إني أشهدك عليهم. وللمرّة الأخيرة أوصاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

-إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتي أرسل اليكم، و إن رأيتمونا ظهرنا على القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا مكانكم حتي أرسل اليكم و إن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا، و إن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدافعوا عنا.

وعند ما اشتعلت المعركة كان النصر للمسلمين أولاً حيث وليّ المشركون الأدبار، و في تلك اللحظات الحساسة ترك الرماة مواقعهم رغم تحذير القائد الذي كان مرابطاً مع اثني عشر ملتزمين بأوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله و سلم).

وهنا انتهز سلاح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد الفرصة و شنّ هجوماً كاسحاً في حركة التفاف سريعة، و فاجأ بذلك مؤخرة الجيش الإسلامي، فحدثت الفوضى في صفوف القوات الإسلامية و تغير الموقف لصالح المشركين الذين راحوا يطاردون المسلمين.

ولولا صمود المخلصين و في طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب لبقي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيداً و لتعرضت حياة للخطر.

وفي تلك اللحظات أدرك المسلمون عواقب مخالفتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبرزت تساؤلات حول قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المطلقة وهل أن للمسلمين في ذلك رأياً. فجاء الوحي الإلهي ليحيب: ﴿... قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ...﴾ 9

وقال فريق من المسلمين: ﴿... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ...﴾ 9

فجاء الجواب الإلهي: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾ 9 "قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الي مضاجعهم".

ثم جاء تفسير الهزيمة في احد في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ...﴾ 10

وأدرك المسلمون موقع الرسول في القيادة من خلال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 11. مع التأكيد على أهمية الشوري و بقاء القرار النهائي بيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله و سلم: ﴿... وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ...﴾ 12

ومن هنا نفهم سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو قائد إضافة الي دوره في تبليغ الشريعة و الوحي، و يبقى مساره في أوامره و قراراته ضمن دائرة القانون الإلهي و الشريعة السماوية¹³.

-
1. القرآن الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 59، الصفحة: 87.
 2. القرآن الكريم: سورة النجم (53)، الآية: 3 و 4، الصفحة: 526.
 3. القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 132، الصفحة: 66.
 4. القرآن الكريم: سورة التغابن (64)، الآية: 12، الصفحة: 557.
 5. القرآن الكريم: سورة المجادلة (58)، الآية: 13، الصفحة: 544.
 6. القرآن الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 80، الصفحة: 91.
 7. القرآن الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 64، الصفحة: 88.
 8. القرآن الكريم: سورة الأحزاب (33)، الآية: 6، الصفحة: 418.
 9. a. b. c. d. القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 154، الصفحة: 70.
 10. القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 152، الصفحة: 69.
 11. القرآن الكريم: سورة الجاثية (45)، الآية: 18، الصفحة: 500.
 12. القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 159، الصفحة: 71.
 13. من كتاب دراسة عامة في الامامة.